ترجمات القرآن إلى لغات البلقان
"دراسة تأريخية"

الأستاذ الدكتور
حامد ناصر الظالمي
جامعة البصرة ـ كلية التربية للعلوم الإنسانية

ترجمات القرآن إلى لغات البلقان "دراسة تأريخية"

الأستاذ الدكتور
حامد ناصر الظالمي
جامعة البصرة ـ كلية التربية للعلوم الإنسانية

المقدمة:

يطلق على مَنْ يحفظ القرآن في اللغة الألبانية كلمة hafiz وهي كلمة العربية نفسها، وأن ختم القرآن يُطَلق عليه hatme، بل ويحظى حافظ القرآن بمكانة مهمة في المجتمع المحلي الألباني[١]. وعلى الرغم من تلك المكانة والمنزلة المهمة للحافظ إلاّ أن المسلمين من الألبان والذين يشكّلون الغالبية من الشعب الألباني ٨٥٪ ظلّوا ((دون ترجمة ألبانية للقرآن الكريم حتى نهاية الحكم العثماني الذي امتد حوالي خمسة قرون، وعلى نمط ما كان في البوسنة فقد اعتاد الألبان على تعلّم وقراءة القرآن الكريم في اللغة العربية واعتقدوا أيضاً باستحالة ترجمته، ولكن بعد استقلال ألبانيا خلال ١٩١٢ - ١٩١٣ ضمن حدودها الحالية وخاصة بعد استقرارها كدولة بعد الحرب العالمية الأولى ظهرت أول محاولة لترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الألبانية في سنة ١٩١٢ والمترجم (جورج سيل) لم يكن مسلماً بل مسيحياً. كما أن الترجمة لم تكن من العربية بل من الانكليزية إلى الألبانية على أن دوافع الترجمة كانت سياسية قومية))[٢]. واعتقد الألبانيون بذلك أي أن ترجمة القرآن الكريم إلى لغتهم هي جزء من الثقافة القومية الألبانية ومن التراث الألباني ((المترجم اريلوميتكو تشافزيزي من الكُتّاب الألبان المعروفين من ذوي النزعة القومية الألبانية في نصف الأول من القرن العشرين، من الذين سعوا إلى تعزيز الروح القومية الألبانية من خلال الثقافة الواحدة التي تستوعب المسلمين والمسيحين،

ولذلك أقدم تشافزيزي على ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الألبانية لأنه كان يعتقد أن القرآن الكريم لا يخص المسلمين فقط (وهم الغالبية العظمى) في ألبانيا بل يخص الثقافة القومية الألبانية باعتباره الكتاب المقدس لغالبية الأمة الألبانية))[٣].

من المعروف أن اللغة الألبانية هي جزء من لغات البلقان، يتَحدَّث بها الألبانيون والكوسوفيون، ولكن هناك لغة مهمة أخرى كذلك هي اللغة الصربوكرواتية، التي يتَحدّث بها الصرب والكروات، إذ تُرجم إليها القرآن كذلك فَتعرَّفت ((الأوساط العالمية على القرآن في نهاية القرن التاسع عشر حين صدرت ترجمة ميتشولوبييراتيتش[٤] سنة ١٨٩٥ ومع أن هذه الترجمة لم تبقَ الوحيدة إلا أنها دون شك الأولى من نوعها وقد أُنجزت حتى الآن عدة ترجمات للقرآن في اللغة الصربوكرواتية، إلاّ أن نصفها تقريباً لا يزال مخطوطاً))[٥]. ولكن قبل هذه الترجمة ظهرت ترجمات سابقة بعضها كاملة وأخرى لأجزاء من القرآن نُشِيَر بعضها وآخر لم ينشر تُرجم بعضها مباشرةً من العربية وأُخر كالفرنسية والتركية والروسية والألمانية والانكليزية[٦]. ولكن سنة ١٨٩٥ تعد مفصلاً تأريخياً مهماً وحدثاً ثقافياً يوغسلافيا إذ أنها شهدت صدور الترجمة الأولى الكاملة للقرآن الكريم إلى اللغة الصربوكرواتية، ألآ وهي ترجمة ميتشولوبييراتيتش الذي تُوفّي سنة ١٨٨٩ وصدرت ترجمته بعد وفاته عام ١٨٩٥[٧]. ((وتقع هذه الترجمة بـ ٤٦٧ صفحة بالإضافة إلى ثلاث صفحات خُصصت لمعجم خاص بالأسماء التي ذُكِرت في القرآن ومكان ورودها... وعِوضاً عن كلمة سورة يذكر المترجم كلمة رأس وبعد ذلك تأتي الآيات مُرقّمة وكل آية تبدأ دائماً من أول السطر))[٨].

وفي بدايات القرن العشرين وفي البوسنة والهرسك تحديداً ((قام محمد سعيد سرادرفيتش ١-٨٨٢-١٩١٨ بترجمة بعض سور القرآن الكريم مع

تفسيرها في سنة ١٩١٣، ونشرها في مجلة المصباح بينما قام شكري الآغيتش ١٨٨١ - ١٩٣٦ بترجمة تفسير المنار لمحمد رشيد رضا ونشر جزأين منه في سراييفو عاصمة البوسنة خلال عام ١٩٦٢ -١٩٢٧))[٩].

وفي الربع الأول من القرن العشرين وفي ألبانيا تحديداً قام أحد علماء الألبان المسلمين بترجمة القرآن من العربية إلى الألبانية مباشرةً، وليس كما حصل مع الترجمة الألبانية السابقة التى قام بها (المسيحي جورج سيل) الذي ترجم القرآن من الإنكليزية إلى الألبانية، لأن هذا المترجم قد تميّز ((بنتاجه التأليفي الكبير في عدة مجالات تجمع ما بين اللغة والأدب والترجمة والإسلاميات، فقد نشر سنة ١٩٠٠ ملحمة التأريخ المقدس والخلفاء الأربعة في ٧٥ ألف بيت من الشعر وأصدر في سنة ١٩١٤-١٩١٦ كتابين لتعليم اللغة العربية موجّهة إلى الألبان. وكان أول مَنْ بدأ بترجمة القرآن من العربية إلى الألبانية سنة ١٩٢٣ - ١٩٢٦ وترجم عيون الأدب الفارسي كـ (غلستان) السعدي ورباعيات الخيام وغيرها))[١٠]. وحافظ هو لقبه الذي اشتهر به لأنه حفظ القرآن الكريم وهو من منطقة كورتشا[١١]. التي أنجبت مترجماً آخر هو (العالم المسلم علي كورتشا (الألباني) الذي قام منذ سنة ١٩٢٤ بنشر ترجمة سور القرآن على حلقات في مجلة الصوت المسلم وصدرت كذلك في سنة ١٩٢٩ ترجمةٌ للقرآن الكريم لعالمٍ مسلم (ألباني) هو الحافظ إبراهيم داليو))[١٢].

وعند عودتنا إلى البوسنة والهرسك وتحديداً سنة ١٩٢٧ نجد أن ترجمةً ثانية قد صدرت ((لإثنين من علماء المسلمين المعروفين هما محمد بانجا وجمال الدين تشاو شيفيتش، وقد صدرت في سراييفو بعنوان القرآن الكريم ترجمة وتفسير فبعد مقدمة المترجم تأتي الصفحات التي تحمل الأعداد الرومانية Vll-LxVlll لتعرف ببعض الأمور من تأريخ القرآن وذلك تحت عناوين

منفصلة، ما القرآن، ترتيب القرآن وتقسيمه، جمع القرآن، توزيع القرآن، الكريم،القرآن والكتب المقدسة، حفظ القرآن الكريم، وفي القسم الثاني لدينا عناوين أخرى، الوحدة الإلهية،الآخرة، العالم الخالد، الجنة والجحيم، الوحي الإلهي، حياة محمد، وبعد هذه الايضاحات العامة تأتي ترجمة القرآن ص١ - ٩٥٧ وهنا تتضح لدينا فروق بارزة بين هذه الترجمة وبين ترجمة لوبيبراتيتش سواء فيما يتعلق بالأسلوب أو بالمضمون، ففي بداية كل سورة نجد ملخصاً لمضمونها ومكان نزولها وعدد آياتها. وفي هذه الترجمة ترد السورة مرقّمة بالأرقام العربية، وتحمل كل سورة عنوانها الأصيل في العربية))[١٣]، وهناك ملاحظات حول هذه الترجمة ثبّتها الدارسون وأكثرهما يتعلق بطريقة تقسم السور أو بالجانب الفني والطباعي وتسلسل السور والآيات فالسور الطويلة ((كانت تُقسّم إلى أجزاء، كسورة البقرة التي قُسّمت إلى ٤٠ جزءاً وسورة الهجرة إلى ستة أجزاء...

وتأتي عبارة بسم الله الرحمن الرحيم مرةً في اللغة الأصلية، ومرةً مترجمة إلى الصربوكرواتية وفي نهاية الطبعة ص٩٥٨ - ٩٧٦ يوجد فهرس وكاشف للآيات والكلمات وفي ص٩٧٧ توضيح على آيات السجدة... وتبدأ كل آية من أول السطر وليست متعاقبة ونجد أن السورة قد قُسِّمت إلى أجزاء حسب مضمونها وطولها بحيث يحمل كل جزء عنواناً خاصاً، فمثلاً نجد أن سورة النازعات قد قُسِّمت إلى جزأين مع ٦٤ آية. الجزء الأول يحمل عنوان الزلزلة الكبيرة بينما يحمل الجزء الثاني عنوان الكارثة الكبرى وتجدر الإشارة هنا إلى أن بعض الآيات قُسِّمت إلى عشرة أجزاء أو أكثر بينما لم يشمل التقسيم بعض الآيات الأخرى.)) [١٤].

أما الترجمة الثالثة والمهمة وهي من العربية إلى اللغة الصربوكراوتية فقد ظهرت مباشرةً بعد الترجمة الثانية ففي ((سنة ١٩٣٧ وبعد عدة شهور فقط من

صدور ترجمة بانجا وتشاوشفيتش صدرت ترجمة أخرى للقرآن دون تفسير للحاج علي رضا كارابك بخمسة آلاف نسخة، ومع أن المترجم، قد ذكر بأنه قد ترجم القرآن من العربية الإّ أن هذه الترجمة تكاد تكون تقليداً لترجمة لوبيبراتيتش ولذلك فقد اعتبرت مجرد تبديل سطحي لترجمة لوبيبراتيتش... وأن الترتيب السور عند كارابك مُرقّم بالأرقام الرومانية، وهو يسمى السورة رأساً كما عند لوبيبراتيتش الإ أنه يختلف عنه بوضع التسمية العربية (سورة) بين قوسين))[١٥].

بعد عرضنا لتطوير الترجمات في اللغة الألبانية واللغة الصرب وكرواتية، وحديثنا عن الترجمة إلى اللغة البوسنية نجد كما يقول الدكتور محمد الأرناؤوط ((أن الترجمات البوسنية للقرآن الكريم توالت بعد أن أنضجت الظروف أكثر بعد الحرب العالمية الثانية أي عند تأسيس فرع ومعهد الاستشراق سنة ١٩٥٠)). وبسيم كركوت المولود في سراييفو سنة ١٩٠٤ والمتخرج من الأزهر والذي عمل في معهد الاستشراق في سراييفو والمتوفى سنة ١٩٧٥ أنجز ترجمة متميزة للقرآن الكريم من العربية مباشرة إلى البوسنية[١٧].

وفي أقليم كوسوفو التابع لوغسلافيا السابقة الذي يتمّتع بأغلبية ألبانية مسلمة تأسس فرع الاستشراق في الجامعة بريشتينا عام ١٩٧٣، فإزداد التواصل مع العالم العربي والاسلامي حتى صدرت في عام ١٩٨٥ ترجمة القرآن الكريم للمستشرق الدكتور فتحي مهدي رئيس فرع الاستشراق المذكور وثم ترجمة أخرى للحافظ حسن ناهي في سنة ١٩٨٨ وأخيراً ترجمة الحافظ شريف أحمدي في سنة ١٩٨٨ أيضاً[١٨].

لم تنقطع ترجمات القرآن البوسنية ولم تتوقف بعد ترجمة بسيم كركوت إذ صدرت ترجمةٌ جديدة للباحث الدكتور أنس كارتيش عميد الدراسات

الاسلامية في سراييفو وهي (ترجمة لمعاني القرآن) عام ١٩٩٥ والدكتور كارتيش من مواليد البوسنة سنة ١٩٥٨ وكانت رسالته للماجستير عن أخوان الصفا عام ١٩٨٦ والدكتوراه بتفسير القرآن عام ١٩٩٠[١٩]. وأصدر مصطفى مليفو في سنة ١٩٩٤ في البوسنة ترجمةً أخرى للقرآن[٢٠].

تأتي هذه الترجمات في الوقت الذي كانت البوسنة تعيش حرباً مجزرة كبرى قام بها الصرب لم تشهدها المنطقة من قبل كان هدفها ازاحة الوجود الإسلامي هناك ما بين ١٩٩٢ - ١٩٩٥ ولكن الترجمات البوسنية تستمر لتعبر عن الروح الإسلامية وعن قوه الشخصية البوسنية إذ ((صدرت في سراييفو في أيلول سنة ٢٠٠٤ ترجمةٌ جديدة للقرآن الكريم أنجزها الدكتور أسعد دوراكوفيتش رئيس قسم الاستشراق في جامعة سراييفو وعضو مجمع اللغة العربية بدمشق والتي عُدَّت حدثاً ثقافياً بوسنياً إسلامياً))[٢١].

ويطلق الدكتور محمد موفاكو الأرناؤوط على ترجمة الدكتور أسعد دوراكوفيتش بأنه قد خصص بوعي حياته لخدمة اللغة العربية والثقافة العربية الإسلامية ولكنه لم يكن في ذهنه سابقاً ترجمة القرآن. ولكن بعد إصداره للعديد من الترجمات من الأدب العربي القديم[٢٢] والحديث، التي أثبت فيها قدرة وجدارة على نقل أصعب ما في الأدب العربي (المعلقات) إلى اللغة البوسنوية بأسلوب شاعري يسمح لهم بتذوق مثل هذا الأدب قرر دوراكوفيتش المضي في أهم تحدي ألآ وهو إنجاز ترجمة جديدة مختلفة للقرآن الكريم... وهو يتميّز عن غيره بتمكنه من اللغة البوسنوية وتقاليدها الأدبية وأن الترجمات السابقة ركزت على نقل المعنى الديني المقدس ولم تهتم كثيراً باللغة البوسنوية التي يُنقل إليها المعنى ويرى دوراكوفيتش أن هذا التركيز على نقل المعنى الديني المقدس جاء نتيجة أمرين. أما الأول فهو أن الذين أنجزوا الترجمات السابقة كانوا في تكوينهم علماء دين ولذلك انعكست طبيعة

دراستهم على ترجماتهم في التركيز على ما هو ديني على حساب ما هو لغوي أدبي جمالي. أما السبب الآخر فهو اقتناع هؤلاء بأن أسلوب القرآن في العربية معجزة غير قابل للنقل إلى لغة أخرى ولذلك اكتفوا بالتركيز على نقل معانيه. وهو يعتقد أنه أفاد من دراساته وترجماته السابقة في إثبات تفوقه واستخدام لغة بوسنوية شاعرية جميلة وأن القرآن كلمة الله يستحق أن يصل إلى القارئ البوسني وغيره في أفضل أسلوب في لغة شاعرية تؤثر عليه بجماليتها على مَنْ يقرأ القرآن بالعربية.. ولأجل ذلك فقد اعتمد دوراكوفيتش الترجمة الشاعرية وجعل بعض السور بوزنٍ واحد وبعض السور بعدة أوزان واعتمد ترتيب آية مقابل آية وصفحة مقابل صفحة ولم يقم بالشرح كثيراً ولم يضع هوامش لا في يمين الصفحة ولا في أسفلها ولكن في بعض المواقع التي رآها ضرورية وصنع أرقاماً صغيرة أحال معها القاريء إلى ملحق صغير في ص٣١٢- ٦١٣ لتوضيح بعض الأمور وشرحها))[٢٣].

يتبيّن لنا من ذلك أنه توجد فجوة في إصدار الترجمات ما بين سنة ١٩٣٧ وحتى أوساط السبعينات وهي فترة حكم الأحزاب الشيوعية في البلقان فقد ضعفت الترجمة وقلّ عددها ولكنها عادت تدريجياً حتى ازدادت في بداية التسعينات أي بعد زوال تلك الأحزاب عن السلطة. ونجد أن أكثر الترجمات كان في البوسنة إذ جاءت للتعبير عن إثبات الذات الإسلامية والهوية البوسنية في أصعب الظروف.

هوامش البحث

(١) ينظر مداخلات عربية بلقانية في التأريخ الوسيط والحديث د. محمد. م.الأرناؤوط منشورات اتحاد الكُتّاب العرب، لسنة ٢٠٠٠ دمشق ص٧١.

(٢) المصدر نفسه ص٧٤.

(٣) المصدر نفسه ص٧٤.

(٤) ولِد في بولوف بالقرب من تربينيا سنة ١٨٣٩ وكان من زعماء الانتفاضة في الهرسك سنة ١٨٧٥ عاش لاحقاً في مملكة صربيا وتُوفّي في بلغراد سنة ١٨٨٩ راجع (ترجمات القرآن في يوغسلافيا) للمستشرق فتحي مهدي أستاذ في فرع الاستشراق بجامعة بريشتينا - كوسوفا - يوغسلافيا ترجمة الدكتور محمد موفاكو مجلة التراث العربي دمشق عدد ٣٧ - ٣٨ سنة ١٩٨٩ - ١٩٩٠ ص١٩١.

(٥) ترجمات القرآن في يوغسلافيا ص١٩٠.

(٦) ينظر المصدر نفسه ص١٨٢.

(٧) ينظر المصدر نفسه ص١٨٣.

(٨) المصدر نفسه والصفحة.

(٩) مداخلات عربية بلقانية ص٧٣.

(١٠) الإسلام في أوربا المتغيّرة تجربة ألبانيا في القرن العشرين تأليف محمد. م. الأرناؤوط الدار العربية للعلوم ناشرون بيروت ط١ سنة ٢٠٠٧ ص٦٠.

(١١) ينظر العدد نفسه ص٦٠.

(١٢) مداخلات عربية بلقانية ص٧٥.

(١٣) ترجمات القرآن الكريم ص١٨٤.

(١٤) المصدر نفسه ص١٨٧.

(١٥) المصدر نفسه ص١٨٨.

(١٦) مداخلات عربية بلقانية ص٧٤.

(١٧) ينظر البوسنة ما بين الشرق والغرب د. محمد موفاكو الأناؤوط منشورات اتحاد الكُتّاب العرب دمشق ٢٠٠٥ ص٥٥.

(١٨) ينظر مداخلات عربية بلقانية ص٧٥ - ٧٦.

(١٩) ينظر البوسنة ما بين الشرق والغرب ص٤٥.

(٢٠) ينظر مداخلات عربية بلقانية ص٧٤.

(٢١) البوسنة ما بين الشرق والغرب ص٦٨.

(٢٢) ترجم المعلقات وألف ليلة وليلة إلى البوسنية وكذلك مختارات من الشعر العربي الحديث.

(٢٣) المصدر نفسه ص٧٠ - ٧١.